

II - شعر محمد بن عمار

(1084/477 - 1031/422)

د. مصطفى لغدير ي :

نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بوجدة ، 2001 ، 156 ص.

تقديم د. مصطفى لغدير ي بالاشتراك

مع هيئة التحرير.

منذ ما يقارب من نصف قرن من الزمان أقدم الباحث العراقي المرحوم صلاح خالص على نشر شعر الشاعر ودراسته في كتابه "محمد بن عمار الأندلسي : دراسة أدبية وتاريخية"*، ضمنه شعر الشاعر الذي جمعه من مختلف المصادر أكثرها كان مخطوطا. وكانت حصيلة ما جمعه ستا وسبعين قطعة، عدة ذلك ثلاثة وستون وسبع مائة بيت. وقد بذل مجهودا ينم عن الصبر والمعاناة في استخراج القصائد من مخطوطات توجد في مختلف الخزانات التي تحتوي على المخطوطات الأندلسية والمغربية في المغرب وإسبانيا وفرنسا و إنكلترا و مصر و العراق. لكن عمله هذا اعتراه نقص نتيجة سوء أحوال هذه المصادر التي أصيب بالخرم والتلف نتيجة السرطوبية والأرضة، أو نقله الأشعار من مصادر لم تكن قد حققت بعد كلا أو جزءا، آنذاك، أو نشرت نشرة لم يراع فيها قوانين التحقيق العلمي، من أمثال نفح الطيب للمقري والذخيرة لابن بسام، والحلة السيراء لابن الأبار، والوافي بالوفيات للصفدي، وبدائع البدائ لابن ظافر الأزدي، وريحان الألباب لابن الموائيني الإشبيلي، وسواها من المصادر التي اهتمت بشعر ابن عمار. ومن هذا النقص نذكر ما يلي :

* طبع ببغداد. 1957.

أولاً : لم يضبط الباحث أشعار الشاعر بالشكل التام مما يجعل التأويل قائماً في قراءة كثير من الكلمات والجمل، وربما أدى هذا التأويل عند القارئ إلى الخطأ الذي الذي لا يستقيم به دراسة شعر الشاعر. وقد نلتمس العذر للباحث لأن الطباعة في البلدان العربية، آنذاك، كانت جد متخلفة أو كان نشر النصوص مضبوطة يكلف ثمناً باهظاً. فأغلب الدراسات والكتب التي نشرت في هذه المرحلة لم تكن نصوصها تضبط ضبطاً دقيقاً باستثناء قليل من الأعمال نشرتها بعض دور النشر في القاهرة وببيروت.

ثانياً : لم يقابل الباحث رواية أشعار الشاعر إلا نادراً لندرة تعدد المصادر، وهو ما أدى إلى سقوط كثير من العبارات التي لم يوفق في استكمالها، وهي كثيرة. وسأشير إلى بعضها في مؤلفه هذا :

- القطعة رقم 1 : ص : 190 البيت السابع.
- القطعة رقم : 21 ، ص : 235 البيت الثالث.
- القطعة رقم : 25 ، ص : 239 البيت الثاني.
- القطعة رقم : 26 ، ص : 240-241 البيت الثالث والبيت الثامن.
- القطعة رقم : 30 ، ص : 245 البيت الثالث.
- القطعة رقم : 34 ، ص : 249 البيت الثاني.
- القطعة رقم : 42 ، ص : 257 البيت الأول.
- القطعة رقم : 52 ، ص : 277 البيت السابع والأربعون.
- القطعة رقم : 54 ، ص : 280 البيت التاسع.
- القطعة رقم : 58 ، ص : 289 البيت الواحد والعشرون.
- القطعة رقم : 66 ، ص : 301 البيت الثالث.

ثالثاً : بعض القصائد لا يستقيم وزن بعض أبياتها بالطريقة التي رسمت أشطرها، أو أن البحر الذي اختاره للقطعة لا يناسب وزنها، أو فاته أن يثبت بحرهما، كما هو الشأن في القطع التالية :

- القطعة رقم : 2 (ص : 195)، القطعة رقم : 5 (ص : 213)،
القطعة رقم : 6 (ص : 204)، القطعة رقم : 8 (ص : 207)،
القطعة رقم : 16 (ص : 230)، القطعة رقم : 25 (ص : 239)،
القطعة رقم : 29 (ص : 244)، القطعة رقم : 30 (ص : 245)،
القطعة رقم : 44 (ص : 260)، القطعة رقم : 49 (ص : 266)،
القطعة رقم : 53 (ص : 278)، القطعة رقم : 62 (ص : 296)،
القطعة رقم : 63 (ص : 297)، القطعة رقم : 69 (ص : 305)،
القطعة رقم : 70 (ص : 306)،

رابعاً : فات المؤلف مجموعة من أشعار الشاعر وردت في مصادر لم يطلع عليها أو لم تكن قد ظهرت أثناء إنجاز عمله هذا، كما هو الشأن في كتاب كنز الكتاب للبونسي الذي ظهر وحقق حديثاً، والوافي بالوفيات للصفدي، والوافي في القوافي للرندي، وبعض الأشعار لم ترد في نفح الطيب للمقري النشرة التي اعتمدها المؤلف، وكذا قلائد العقيان للفتح بن خاقان وبدائع البدائنه لابن ظافر، وديوان الجزار السرقطي والذخيرة لابن بسام.

خامساً : فات المؤلف أن يشير إلى التنازع في بعض القطع المنسوبة لابن عمار، وهي :

القطع الآتية في مجموعه : 24 ، 38 ، 40. وهي القطع التي تقابلها في عملنا هذا : 46 ، 60 ، 84.

سادساً : لم يرتب الباحث أشعار الشاعر ترتيباً على حروف الهجاء لتيسير عملية البحث على قراء هذا الشعر، وإنما حاول أن يوردها بشكل تسلسلي تاريخي، وهي عملية جد معقدة، لأنه إذا كانت هناك قطع تنبئ بنفسها عن مناسبة تاريخية محددة فإن قطعاً أخرى يصعب ترتيبها على هذا النسق، كالقطع المرتبطة بالظروف العاطفية والوجدانية كالغزل والوصف والهجاء والإخوانيات. ولعل الباحث التجأ إلى هذا

الترتيب نتيجة المنهج الذي اختاره في دراسة شعر ابن عمار، وهو منهج يسعى إلى دراسة حياة ابن عمار وشخصيته وعصره من خلال أدبه.

إضافة إلى ذلك فإن العمل يفتقر إلى الفهارس التي أصبحت مفاتيح كل المؤلفات والدراسات القديمة منها والحديثة، ك فهرس الأشعار والأعلام البشرية والجغرافية والتضمنات المختلفة في الأشعار والأمثال... إلخ.

سابعاً : أخل عمل الباحث بمجموعة من أشعار الشاعر تصل إلى إحدى عشرة قطعة، بين النثف والمقطعات والمطولات، عدتها ستون بيتاً، وهو ما يمثل، بلغة الأرقام ، 8% من مجموع شعر الشاعر؛ وهي القطع الواردة في عملنا هذا (1 ، 4 ، 12 ، 20 ، 25 ، 36 ، 50 ، 64 ، 67 ، 68 ، 75)⁽¹⁾، رغم أنه من المسلم به في صنع دواوين الشعراء المفقودة أن يبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه ليستكمل المتأخرون ما فات المتقدمين، أو كما يقول أحد المستدركين " من الأمور المسلم بها أن الاستدراك بحر لا ساحل له . ولا نهاية، ولا يستطيع أحد من المحققين أو الباحثين، مهما أوتي من قدرة وجهد، أن يلاحق ما يصدر من نفائس الكتب وأعلامها بين الفينة والأخرى " ⁽²⁾.

تاسعاً : طُبِع عمل المرحوم د. صلاح خالص منذ ما يقارب من نصف قرن من الزمن ولم يعد في إمكان الباحثين المهتمين بالشعر العربي عامة، والشعر الأندلسي خاصة، الحصول على نسخة منه، بما في ذلك مكنيات الجامعات. وربما كانت المحظوظة منها تتوفر على نسخة وحيدة أو مصورة، فضلاً عن المكنيات الخاصة للدارسين والباحثين. وأضرب مثلاً على ذلك بالمحقق إبراهيم بن مراد التونسي الذي لم يتمكن من الاطلاع على عمل صلاح خالص أثناء تحقيق كتاب "مختارات من الشعر

(1) تشير هذه الأرقام إلى القطع الواردة في هذا العمل.

(2) من مقالة " يزيد بن مفرغ الحميري : تنمة واستدراك " للأستاذ عباس هاني الجراخ، مجلة العرب الصادرة - بالرياض ج 1 ، 2 س 34 رجب / شعبان 1419 هـ / نوفمبر ، ديسمبر 1998 م ص : 103 .

المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها" منذ ما يقارب على عقدين من الزمن لمقابلة مقطوعة من شعر ابن عمار (3).

وإذا كان الأستاذ إبراهيم بن مراد الباحث الجامعي لم يتمكن من الاطلاع على هذا العمل، فما هو حال الطلبة الباحثين المبتدئين في تحقيق التراث الأدبي الأندلسي ودراسته.

لهذه الأسباب جميعا، عملت على إخراج شعر ابن عمار وضبطه وقابلت روايات مختلفة المصادر ليستفيد منه الباحثون المهتمون بتراث الفردوس المفقود عامة، والمهتمين بشعر ابن عمار خاصة. لأنه لحد الساعة ما يزال شعر ابن عمار في حاجة إلى دراسة وإلى إضافة واستدراك ما دام ديوانه محجوبا عنا لحد الآن.

كان ابن عمار من شعراء الأندلس المجيدين الكثيرين، إذ عرف شعره إقبالا واهتماما النقاد ودارسي الأدب في الأندلس وخارجها. والدليل على ذلك ما صرحت به المصادر الأدبية الأندلسية والمغربية من أنه كان من الشعراء الكبار، بل هناك من وقف على ديوانه مجموعا ومرتباً ترتيباً على حروف الهجاء، فضلا عن المجاميع والاختيارات التي أولت أهمية كبرى لشعره. فابن الأبار صرح بأن أبا الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي جمع شعر الشاعر ورتبه على حروف المعجم وبذل جهداً طيباً في هذا الجمع (4). كما نجده ينقل من هذا الديوان أشعار الشاعر وأخبارا عنه (5) مما ضمنه الفصل الخاص عن الشاعر في حلته. ويؤكد ذلك كل من عبد الواحد المراكشي وابن دحية ذلك، فيقول الأول: "ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس" (6) كما يقول الثاني: "وشعره -أي ابن عمار- مدون كثير، وقد ذكرنا منه ما اقتضاه التخيير" (7).

(3) انظر ذلك في كتاب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها، ص: 62 : 63، ص: 65-66، تحقيق الأستاذ إبراهيم بن مراد. دار الغرب الإسلامي. بيروت ط. أولى 1406 هـ / 1986 م.

(4) الحلة السيرة: 2 / 134.

(5) نفسه: 2 / 132.

(6) المعجب: 164.

(7) المطرب: 174.

بالإضافة إلى هذا الديوان المجموع نجد مجامع واختيارات صنفت لشعر الشاعر وأخباره، من أمثال " نخبة الاختيار في أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار " لابن بسام الشنتريني⁽⁸⁾، وتاريخ في أخبار المعتمد بن عباد "لأبي القاسم الشلبي"⁽⁹⁾ . وقد ضمنه كثيرا من أشعار الشاعر، فضلا عن أخباره. وقد كان ابن الأبار قد اعتمده في فصله عن الشاعر في "كتابه الحلة السراء"⁽¹⁰⁾.

لكن هذه المصادر لم يصل إلينا إلا أسماؤها والإشارة إلى النقول عنها، أو ما وصل إلينا من أخباره وأشعاره في المصادر الأدبية والتاريخية، من أمثال كتاب الذخيرة لابن بسام، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، والحلة السراء لابن الأبار، وكنز الكتاب للبونسي الشريشي الذي ظهر أخيرا، أو المصادر المغربية والمشرقية التي نقلت عنها. ولم يبق من المصادر الرئيسية المخطوطة لشعر ابن عمار -حسب اطلاعي- إلا مخطوط الأسكوريال عدد 488⁽¹¹⁾ الذي يتضمن مجموعة من قصائد الشاعر المبتوثة -جزءا أو كلا- في ثانيا مختلف المصادر، أو كراسة القرويين ذات الوريقات الأربع عشرة التي عاثت بها الأرضة والرطوبة⁽¹²⁾. وهذه المخطوطة على صغر حجمها لها أهمية كبيرة، إذ تتضمن عبارات وأسطارا شعرية لم نقف عليها في المصادر التي تضم أشعار الشاعر فضلا عن أشعاره المشهورة التي تداولته المصادر. لكن لكثرة خرومها وتآكل أوراقها لم نستطع أن نستفيد منها كثيرا، كما صعب علينا أن نحدد هويتها إن كانت جزءا من الديوان الذي جمعه أبو الطاهر التميمي السرقسطي أو جزءا مما وسمه ابن بسام بـ " نخبة الاختيار في أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار "، أو شيئا من هذا القبيل.

(8) الذخيرة : 477 / 1 / 2.

(9) الحلة : 136 / 2 .

(10) نفسه : 136 / 2.

(11) مصورة خاصة بحوزة أخينا الدكتور علي لغزوي مسجلة تحمل رقمين على التوالي : 488 ، و 539.

(12) مسجلة بخزانة القرويين تحت رقمين : 1 ، 103.

من هنا يمكن القول إن مصادر شعر ابن عمار هذه ما تزال محجوبة عنا، فعسى أن يجود بها الزمن كما جاد بكثير من مثيلاتها التي كانت إلى عهد قريب من المؤلفات المفقودة.

وهذا الأمر هو الذي دفعني 'إلى لملمة شعره من جديد وإضافة ما فات المرحوم الدكتور صلاح خالص وترتيبها على الحروف الهجائية حسب الترتيب المغربي الأندلسي، كما حاولت ضبطها والإشارة في الهوامش إلى مصادر تخريجها والقراءات المختلفة في المصادر المعتمدة، وشرحت بعض الألفاظ والعبارات التي ظننت أنها صعبة بالنسبة إلى القراء، وعرفت ببعض الأعلام البشرية والجغرافية بالإشارات إلى مصادرها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ونجد في هذا المجموع 86 قطعة بها 845 بيتا موزعة حسب الأغراض التالية :

الأغراض	أرقام القطع والقصائد في المجموع وعدد أبياتها*	عددتها	مجموع أبيات كل غرض
المدح	22 ، 8/17 ، 12/10 ، 30/3 ، 4/1 ، 23/32 ، 3/31 ، 2/27 ، 37/ ، 4/52 ، 10/48 ، 13/47 ، 45/34 ، 9/69 ، * 44/68 ، 93/65 ، 3/53 * 9/78	17	359
الإخوانيات	21/ ، 7/19 ، 3/14 ، 2/9 ، 15/8 ، 17/62 ، 29/56 ، 4/51 ، * 52 * 9/78 ، 2/66	10	140
الوصف	59 ، 5/46 ، 2/44 ، 3/41 ، 2/30 2/79 ، 2/72 ، 2/70 ، 3/60 ، 2/	9	23
الغزل	5/18 ، 2/16 ، 2/12 ، 2/5 ، 2/4 ، 5/85 ، 2/67 ، 8/49 ،	8	28
الاستشفاع	26/ ، 31/23 ، 14/7 ، 9/6 ، 5/2 ، 3/74 ، 27/71 ، * 9/28 ، 2	8	100
الاستعطاف	، 4/33 ، 4/29 ، * 9/28 ، 19/13 ، 7/86 ، 2/63 ، 4/58 ، 13/37	8	62

* - الأرقام على اليمين لرقم القطعة أو القصيدة في المجموع، والأرقام على اليسار لعدد الأبيات بها.
* - الأرقام التي تحتها سطر هي للقطع والقصائد المتكررة.

64	7	، 9/40 ، 29/38 ، 4/35 ، 2/20 ، 2/57 ، 5/55 ، 13/54	الهجاء والتعريض
10	7	، 1/2/50 ، 1/45 ، 5/42 ، 1/2/25 ، 1/76 ، 1/75 ، 1/73	الإجازة والاستجـازة
80	5	، 5/39 ، 3/24 ، * 52/21 ، 14/11 ، 6/61	العتاب والاعتذار
60	4	، 2/80 ، * 44/68 ، 1/36 ، 13/15	التهنئة
12	2	، 9/82 ، 3/77	مجلس الشراب والأنس
2	1	، 2/81	الاستيحاش
9	1	، 9/69	الاعتراف بالجميل
3	1	، 3/83	المراجعة
2	1	، 2/84	استئجاز حاجة
3	1	، 3/43	الاعتداد بالنفس
2	1	، 2/64	الحنين
845 بعد حذف المتكرر	86 بعد حذف المتكرر		المجموع

*- الأرقام التي تحتها سطر هي للقطع والقوائد المتكررة.